ثورة مصدّق.. ومصافي عدن

ثروت جيزاني

في خمسينيات القرن الماضي، لم يكن النفط مجرد سلعة، بل كان عنوانًا للصراع على السيادة (ومازال). حين قرر رئيس الوزراء المنتخب محمد مصدق تأميم النفط في إيران، كان يواجه منظومة دولية كاملة، تتزعمها المملكة المتحدة عبر شركة النفط الأنجلو-إيرانية. رفضُ الشركة الخضوع لرقابة الدولة الإيرانية فجّر أزمة كبرى، وأصدرت حكومة مصدق قرار التأميم الشهير، وانتهت بحصار اقتصادي وانقلاب سياسي أعاد ترتيب السلطة بإزاحة مصدق، لكنه في الوقت ذاته فتح بابًا لتحولات استراتيجية في سوق الطاقة العالمية.

أحد أهم تلك التحولات لم يكن في طهران، بل على سواحل عدن. فمع تصاعد المخاطر المرتبطة بتأميم النفط، أدركت بريطانيا أن الاعتماد على منشآت داخل دول قد تتجه نحو السيادة الكاملة لم يعد خيارًا آمنًا. وهنا برزت فكرة إنشاء مصفاة ضخمة في منطقة خاضعة لنفوذها المباشر، فجاء مشروع مصافي عدن في البريقة.

أنشأت بريتيش بتروليوم هذه المصفاة بين عامي 1952 و1954، بتكلفة كبيرة وطاقة إنتاجية جعلتها من أبرز المصافي في المنطقة. لم يكن المشروع مجرد استثمار اقتصادي، بل كان تأمينًا استراتيجيًا ضد تكرار سيناريو مصدّق. وهكذا، يمكن القول إن مصافي عدن وُلدت من رحم تلك الثورة؛ كاستجابة مباشرة لمخاوف القوى الكبرى من فقدان السيطرة على النفط.

تحولت عدن سريعًا إلى مركز إقليمي لتكرير وتوزيع الوقود، مستفيدة من موقعها الجغرافي الحيوي على طرق الملاحة العالمية. لعقود، لعبت المصفاة دورًا محوريًا في تغذية الأسواق المحلية والإقليمية، وكانت رمزًا لقدرة البنية التحتية على صناعة النفوذ الاقتصادي.

لكن الصورة اليوم تبدو مختلفة تمامًا. فمصافي عدن، التي كانت يومًا ركيزة للطاقة، تواجه تحديات كبيرة تصل إلى حد التوقف التام. في وقت تتزايد فيه الحاجة إلى الوقودً ومشتقاته في عدن والمناطق المجاورة، تبدو المفارقة صارخة، منشأة بُنيت لضمان الإمدادات في أوقات الأزمات، أصبحت عاجزة عن تلبية أبسط متطلبات الحاضر.

إن الربط بين تجربة مصدّق ومصافي عدن يكشف مفارقة تاريخية عميقة. فبينما خاضت إيران معركة السيادة على مواردها، أنشأت القوى الكبرى بدائلها لضمان مصالحها. أما اليوم، فإن التحدي لم يعد صراعًا مع الخارج بقدر ما هو صراع مع الإهمال والتقادم وضعف الإرادة من صناع القرار.

إعادة تشغيل وتحديث مصافي عدن لم تعد خيارا ثانويا، بل ضرورة استراتيجية. فاستمرار تعطلها يعني بقاء عدن رهينة للاستيراد، وتقلبات السوق، وأزمات الإمداد. في المقابل، يمكن لإحيائها أن يعيد للمدينة دورها التاريخي كمركز طاقة، ويمنحها قدرة أكبر على مواجهة الأزمات.

بين ثورة مصدق التي سعت للتحرر، ومصفاة وُلدت لضمان السيطرة، تقف عدن اليوم أمام سؤال مختلف: هل تستطيع استعادة دورها، أم ستظل خارج معادلة النفط التي ساهم حضورها الفاعل يومًا في تشكيلها؟

وفاء وذكريات

ابراهيم فضل

في بعض الأماكن تبدأ الحكايات التي لا تنتهي. منذ أروقة المعهد التقني في المعلا بدأت قصة صداقة طويلة مع رياض في سنوات الثمانينيات، حيث كانت الحياة بسيطة والفرح قريباً من القلب، تشكلت علاقة لم تضعفها المسافات ولم تكسرها الحروب.. هو ليس مجرد صديق بل صلة حية بين الذكريات والحاضر بين عدن وغربتي الطويلة، بعيداً عن الوطن.

بعد مغادرتي عدن إلى السعودية ظل تواصلنا مستمراً، رسائل ومكالمات تمتد عبر السنين تحافظ على الرابط حياً رغم المسافات، وكل زيارة لي إلى عدن كانت فرصة لإحياء الذكريات، نعود فيها إلى شوارع المعلا إلى مقاعد الدراسة إلى أيام لم يعرفها الزمن بعد.

وحين توحد الجنوب مع الشمال كنت غائباً عن البلد، بينما بقي رياض شاهداً على الوقائع التي سبقت حرب صيف 1994م وما تلاها من اجتياح الجنوب وخسارة الأرض والانسان، رأى بعينيه التشريد وعاش مرارة التسريح والتهميش، لكنه واجه كل ذلك بصبر وشجاعة محتفظاً بذاكرة حية لتلك الأحداث.

رياض عاش الألم عن قرب، فشقيقه من المخفيين قسرياً لدى ما كان يعرف آنذاك بالحرس الجمهوري ولم يعثر له على أثر حتى اليوم، ومع ذلك ظل صامداً وفياً متفانياً في مساعدة الآخرين هو مثال العدني البسيط النبيل الذي يحمل الانسانية في قلبه رغم كل ما مر به.

في السنوات الأخيرة، وبعد اجتياح الحوثيين لعدن، عاش رياض وأسرته جولات من النزوح متنقلين بين مناطق مختلفة بحثاً عن مأمن وسط الخراب، ومع ذلك ظل ثابتاً يحمل الأمل في قلبه ويتمسك بخيوط الحياة اليومية البسيطة، فنجان شاي عدني في الصباح، زيارة جار قديم، حديث قصير مع صديق، ضحكة مع ابنته الوحيدة، كل لحظة بسيطة كانت بالنسبة له شكلاً من أشكال المقاومة وشهادة على الصمود.

رياض ليس مجرد صديق بل وشيجة زمن ووفاء حاضرة في تفاصيل حياتي اليومية، في مكالماتي ورسائلي وفي كل حديث عن عدن والغربة. هو جزء من الذكريات التي تحيي الماضي، ومن الأمل الذي يضيء الحاضر، ومن الصمود الذي يرسم ملامح المستقبل مهما طال الزمن.

في القاهرة، في مقري المؤقت في فيصل، أستحضره في كل زاوية وفي كل لحظة هدوء، في كل ذكرى عابرة وكل رسالة منه وكل مكالمة وكل خبر عن حياته هناك يعيد إلي الوطن يجعل الصداقة وطناً صغيراً يسكن قلبي مهما ابتعدت الأقدار.

رياض هو الغائب الحاضر، الصديق الذي لا تقتله المسافات ولا تغيره السنون ولا تكسره الحروب، هو الصداقة بكل معانيها: الوفاء، الدعم، الصمود والذكريات التي تشبه الوطن كبيراً في القلب مهما ضاق العالم.

لا فرق بين أمي وأبوظبي... كلاهما يمنحني الحياة

علي عبدربه غزال

حين أبحث عن معنى الحياة، لا أجد فرقا بين حضن أمي ودفء أبوظبي؛ فكلاهما يمنحني الأمان، وكلاهما يزرع في داخلي الطمأنينة، ويشدني إلى الحياة بكل ما فيها من أمل وكرامة. هنا، في إمارات الخير، لا تشعر أنك غريب، بل كأنك ولدت من جديد على أرض تحتضنك كما تحتضن الأم أبناءها.

أبوظبي.. ليست مجرد عاصمة، بل روح تسري في كل من يسكنها. مدينة لم أعرف فيها الفوارق بين مواطن ومقيم، بل وجدت فيها شعباً واحداً، يتقاسم الكرم، ويعيش على المحبة، ويتنفس التسامح. هنا، رأينا بأعيننا معنى الحياة الكريمة، وشعرنا بأن الإنسان هو القيمة العليا، وأن الاحترام هو اللغة التي يتحدث بها الجميع.

لقد علمتنا هذه الأرض أن الخير ليس شعاراً، بل سلوك يومي، وأن العطاء ليس ترفا، بل واجب أخلاقي. وجدنا في إمارات الخير والعطاء وأهلها طيبة لا تصطنع، وكرما لا يحد، وابتسامة صادقة تغني عن ألف كلمة. إنها وطن يحتضن كل من يعيش على أرضه، يمنحه الشعور بالانتماء، ويزرع فيه الوفاء.

ولأن الوفاء لا يقاس بالكلمات وحدها، فإننا نقولها، بكل فخر واعتزاز صادق، إننا نفديك يا إمارات الخير بأرواحنا، وسوف نقف في الصفوف الأولى دفاعاً عنك، إلى جانب أبطال القوات المسلحة الإماراتية، الذين سطروا أروع ملاحم الشجاعة والبسالة، وقدموا نموذجاً يحتذى به في التضحية والفداء على مر التاريخ المعاصر.

كما أننا نقف إجلالاً وتقديراً لقيادتنا الرشيدة، وعلى رأسها سيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، حفظه الله، الذي غرس فينا قيم العطاء، وعلمنا أن الكلمة الطيبة مسؤولية، وأن الفعل الكريم هو عنوان الأمم الراقية.

حفظ الله إمارات الخير وطني الذي غرس حبها نبضا وحبا بقلبي.. لك السلام يا إمارات الخير... لك الوفاء الذي لا ينتهي، ولكِ منا العهد بأن نبقى أوفياء، نحمل حبك في قلوبنا، ونحفظ جميلك ما حيينا. حفظ الله الإمارات، قيادة وشيوخا وشعبا ووطنا، برا وبحرا وجوا، ودام عزك يا وطن.

السياسة العِرقية وهدم فكرة الدولة

أحمد ناصر حميدان

من أخطر ما يمكن أن تنزلق إليه المجتمعات في لحظات الاضطراب هو تحويل الهوية إلى مشروع سياسي، أو بناء الخطاب العام على أساس العرق والانتماءات الضيقة، بدلًا من المواطنة والحق المتساوي. فالمشكلة لا تبدأ حين يُرفع هذا الشعار بصورته الصريحة فقط، بل تبدأ منذ اللحظة التي يُعاد فيها تعريف الناس، لا بوصفهم مواطنين، بل بوصفهم فئات متمايزة في القيمة والاستحقاق والتمثيل.

السياسة العرقية قد تبدو لبعضهم أداة تَعبئة أو وسيلة لحشد الأنصار وصناعة الاصطفاف، لكنها في حقيقتها مدخل خطير لهدم فكرة الدولة. فهي لا تبني فضاءً وطنيًا جامعًا، بل تعيد إنتاج المجتمع على هيئة جماعات متقابلة، لكل منها سرديتها الخاصة، ومظلوميتها الخاصة، وحقها المزعوم في احتكار المجال العام.

وحين يصبح الأصل أو الهوية أو الانتماء الضيق معيارًا للولاء أو الاستحقاق، فإن مبدأ المواطنة يتآكل تدريجيًا، وتفقد الدولة معناها الأخلاقي والسياسي، لأنها لم تعد إطارًا جامعًا للناس، بل أداة لإدارة التوازنات بين الهويات المتصارعة.

الأخطر من ذلك أن هذا المسار لا يظل محصورًا في اللغة والخطاب، بل يتحول مع الوقت إلى بنية ذهنية وسياسية تنتج الإقصاء، وتمنح الشرعية للتمييز، وتفتح الباب أمام عنصرية مقنّعة أو معلنة، حتى لو بدأت تحت لافتات الإنصاف أو استعادة الحقوق.

ولهذا، فإن الحذر من هذا النوع من المشاريع ليس ترفًا فكريًا، بل ضرورة وطنية وأخلاقية. فالدول لا تُبنى على الفرز، ولا تستقر بالتصنيف، ولا تُدار بمنطق الجماعات المغلقة، بل تقوم على المواطنة، والعدالة، وسيادة القانون، والاعتراف بالتنوع داخل إطار وطني جامع.

أما حين يتحول الانتماء إلى أداة حكم، فإن الوطن نفسه يفقد معناه، وتتحول الدولة من كيان جامع إلى ساحة صراع مؤجل.

قنّاص الأطفال

تيسير السامعي

القنّاص الذي قام بقتل الطفل إبراهيم جلال، أثناء خروجه من مدرسته عائدًا إلى بيته مع أخته في مدينة تعز، يعتقد في قرارة نفسه أنه لم يفعل شيئًا، وأن المسؤول عن دم هذا الطفل ليس هو، بل المرتزقة والدواعش التكفيريون الذين لم يؤمنوا ويسلّموا لسيده عبدالملك.

ويقول هذا القنّاص في نفسه، وهو ينظر إلى المدينة من مكان تمركزه: لو أن أهلها سلّموا لسيدي واستجابوا لدعوته ما أقدمنا على قتلهم ولا قنص أطفالهم.

ورغم بشاعة الجريمة التي هزّت الوجدان وأدمت القلوب، إلا أن الرجل لم يهتز له جفن، ولم يشعر بتأنيب ضمير، بل هو على استعداد لارتكاب جرائم أخرى وقنص المزيد من الأطفال.

لقد حصل على لقب شرعي بأنه مجاهد في سبيل الله، يعمل مع المسيرة القرآنية تحت مظلة قرناء القرآن من آل بيت رسول الله، أعلام الهدى، وينصر غزة وفلسطين، ويسعى إلى تحرير القدس والمسجد الأقصى.

في نظره أن السلام استسلام، والرحمة ضعف، والإنسانية تنازل وخنوع، واللين خنوع، والرفق ذلّة، والقسوة شجاعة، وانتهاك حقوق الآخرين تمكين، وسفك الدماء رجولة، والقتل جهاد. الإسلام هو سيده، ومن يختلف مع سيده فهو ضالّ مستباح الدم والمال.

وربما يكون الآن يحمد الله ويشكره الذي مكّنه من ارتكاب هذه الجريمة وسفك دم هذا الطفل البريء، وقد حصل على مئات رسائل التهاني والتبريكات من زملائه الذين أرسلوا له يهنئونه على قدرته الفائقة في القنص، معتبرين ذلك منجزًا كبيرًا يُضاف إلى منجزاته السابقة التي قام بها خدمة لسيده وآل البيت والمسيرة القرآنية.

هذا القنّاص لا شك أنه قد خضع لعشرات الدورات الثقافية والفكرية التي غسلت دماغه، وحوّلته من إنسان خُلق من أجل أن يحيا ويعيش ويعمل ويتزوّج ويربّي أطفاله، إلى إنسان غايته أن يقتل ويسفك الدماء ويدمّر البيوت وينتهك حقوق الناس، ويقتل من أجل أن يرضي سيده الذي أطلق عليه لقب مجاهد.

إننا اليوم في ظل هذه الجماعة أمام معضلة فكرية غيّرت مفهوم الحياة وحقيقة الإسلام، وحوّلته من دين الرحمة والعدل والمساواة إلى دين الحرب والقتل والدمار والخضوع الاعمى لشخص يزعم أنه صاحب حق إلهي في الحكم، وهذا يستدعي من الجميع، وفي مقدمتهم قيادة الشرعية والأحزاب السياسية والتيارات الفكرية والنخب المجتمعية، إعادة النظر في كيفية التعامل مع هذه الجماعة، وتوحيد الصفوف من أجل مواجهتها، وإنقاذ أبناء اليمن من أفكارها المغلوطة.